صورة الحرب في كتاب "صيف في الصحراء"
(Un Eté dans le Sahara)
للرحالة الفرنسي: أوجين فرومنتان – (Eugéne Fromentin)

أ. عيسى عطاشي
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة عمار ثليجي - الأغواط - الجزائر

إنّ صورة فرنسا في هذا الكتاب، صورة سلبية عموما، بل عدائية. وفي اعتقادنا أنه يجب تقييم أوجين فرومنتان، (Eugéne Fromentin)، بمفرده ضمن حضارته الخاصة أولا، ثم يمكن – بعد ذلك - النظر إليه، وتحديد مكانته ضمن إطار عالمي واسع.

يزور الرحالة الفرنسي (أوجين فرومنتان) الجزائر في: 07 نوفمبر 1852. وفي: شهر ماي 1853 يتوجّه، مع وفد مكوّن من عسكريين فرنسيين، ومدنيين جزائريين، إلى مدينة (الأغواط)، التي وصلها في: 03 جوان من السنة نفسها، بعد أن استولت عليها فرنسا في: 04 ديسمبر 1852، ومكث بها فترة لا بأس بها.

وقد نقل هذه الرحلة بكلّ تفاصيلها في كتابه: "صيف في الصحراء"، كما خصّص صفحات عديدة منه، يروي فيها ما شاهده في أثناء إقامته بالأغواط، من آثار لوقائع مفزعة، ولأماكن مدمرة، ولجثث وأشلاء مترامية، خلفتها المواجهات العنيفة. ويدوّن فيها ما سمعه من روايات مرعبة لجرائم بشعة.

نشير أن الكاتب نقل هذه الأحداث دون أن يراعي فيها التسلسل الزمني، يحركه في ذلك: الضمير الجمعي، واللاوعي الجمعي المركوزان بعمق في لا شعوره.

وإن إعادة ترتيب الأحداث، باحترام تسلسلها الزمني، يفيدنا كثيرا في تحليل الصورة، واستخراج عناصرها، التي تبيّن تأثّره بثقافته الغربية، ومعتقدات عصره، التي شكّلت خلفيته الأيديولوجية، ونظرته إلى الآخر "الشرقي". فيكون الترتيب الزمني للأحداث على النحو التالي:

- سرد الكاتب تاريخ الخصومات والثارات القديمة المتجدّدة، التي كانت قائمة بين الحيين: "أولاد سرقين، والأحلاف"(1)، حتى عشيّة دخول الاستعمار الفرنسي، والفرقة المؤلمة بين أهلها، التي كان يذكّيها الأغواطيون أنفسهم، وتسندهم في ذلك القبائل البدوية(2)

وقد جاء كتابه زاخرا بالمعلومات التاريخية، التي تؤرخ لهذه الفتنة القبلية وتروي تفاصيلها، وكيف استغلّتها فرنسا، حيث يعني هذا - في منظور فرومنتان وتصوره الغربي - أنّ فرنسا كوّنت صورة جديدة لشعب لا تخافه - أبدا -، وتستعد للاستيلاء عليه، بعد أن تأكد لها أنه أصبح مفككا، متناحرا، متباغضا، وقد تفشت بين أبنائه الخلافات والعداوات، وبرزت بينهم علاقات؛ مظهرها التنافس والصراع بمختلف أشكاله.

ويستند الكاتب - هنا - إلى فكرة الفوضى العارمة ،كمبرّر تاريخي، منطقي، لانحطاط الجنس العربي وانحلاله، الذي صار ثائرا ضد بعضه بعضا، مسيّرا من قبل رجال أغبياء ذوي عقلية طفولية صبيانية، ومعروفا بطباع نزّاعة إلى الاختلاف والفرقة "الجدار الفاصل بين الحيين، ما زال قائما إلى اليوم، كذلك باب ضخم، بشكله المصري، الذي يفتح أو يغلق تبْعا لحالة السلم أو الحرب التي تعيشها هاتان الجمهوريتان المتحاسدان، وهما - دائما - مستعدتان للاقتتال من على جدرانهما المشتركة. وربما دامت تقاليد هذه الخصومات والمشاحنات ثلاثة قرون، وأنت تتصوّرها شبه أسطورية، وتمثّل نوعا ما ميثولوجيا الأغواط. والذي أعرفه - تقريبا -: أنهم استمروا يقتتلون من حي إلى آخر، من برج أولاد سرقين إلى برج الأحلاف، حتى عام 1828"(3).

ويذكر الرحالة أنّه، في عام ،1844 تعاون أحد زعماء قبيلة (بن سالم) مع الفرنسيين، وطلب منهم توليته "خليفة" على مدينة الأغواط(4) ، فاستجابوا لطلبه، وأصبح "خليفة" منذ هذه السنة.

- ثم يروي أن رتلا من الجيش الفرنسي، مكلّفا بتحرير التقارير، وإرسالها إلى حكومته، قد مكث تحت جدران الأغواط بضعة أشهر قبل الحصار، وأن الملازم "ن..."(5) استطاع، قبيل الحصار، أن ينفذ ويتسلل إلى المدينة، رفقة عريف من فرقته، وشخص أغواطي كان يستخدمه مرشدا، وقد استقبلتهم فتاتان من قبيلة

"أولاد نايل" بمنزلهما، فمكثوا به حتى انتهاء مهمتهم التجسّسية(6) . كانت الأخبار، خلال هذه الفترة، تتدفّق على الحكومة بأكثر دقة، عن تنظيم القبائل العربية، وحالة سلاحها، وما كان يسودها من عدم انضباط وخلافات داخلية، انتهت بإثبات الحجة بأن (الأغواط) منطقة محمية بصفة رديئة، وتخيّم عليها فوضى كبيرة، وجدت فيها (فرنسا) فرصة مواتية؛ لكي تنقضّ على المدينة وتستولي عليها.

- وفي نهاية عام 1852، تحاصر فرنسا المدينة، ثم تستولي عليها، بعد مقاومة عنيفة، ومعركة غير متكافئة(7) .

وهكذا، يكون (فرومنتان) قد قدم للوعي الفرنسي الدليل بأن الأغواطيين لم يستطيعوا أن ينقذوا أنفسهم من السقوط إلا بفضل تدخل أجنبي، كلّفه ثمنا باهظا، ولم تكن هذه المجازفة إلا لخير الأغواطيين "الشرقيين"، الذين أنقذتهم فرنسا من تناحر دائم، كان الميزة الأساسية، والمظهر الملازم لطريقتهم في الحياة.

إنّ (فرومنتان) يريد أن يبرز المجتمع الجزائري مثقلا بمختلف السلبيات والعاهات، عاجزا عن تمثيل نفسه بنفسه، مجبولا على الدسيسة والخيانة، مفككا، يفتقد إلى الحيوية والقوة. دخلت فرنسا بلاده لتنقذه من همجيته، وتخلصه من الظلم الذي كان مسلطا عليه من قبل أبنائه، وتجعله أكثر سعادة، وتمكنه من حضارة "أوروبا"، التي وصلت إلى درجة الكمال.

ويستثمر الكاتب شخصية وليّ الأغواط "سيدي الحاج عيسى"(8)، ويحركها في الاتجاه الذي يبرّر سلوكات فرنسا، ويسند إليه أقوالا يقصد بها: نشر الرسالة التي تخدم الاستعمار بين أهالي الأغواط المتخلفين، غير القادرين على تعليل الأحداث تعليلا عقلانيا منطقيا، وإنما يعتقدون في خوارق الأولياء، ويسلّمون بسيطرتهم على الإنسان، وتأثيرهم في سلوكه وإرادته، وقدرتهم على التأثير في مجريات الأحداث.

إنّ الولي "سيدي الحاج عيسى" مات، وهو ساخط على أهالي المدينة؛ بسبب خطيئة ارتكبوها في حق الله، وقد دعاه أن يسلّط عليهم المسيحيين (الفرنسيين)، فيهلكوا جميعا(9) . وها هي دعوته تتحقق، فتحتل فرنسا (الأغواط)، ويتّخذ جيشها ضريح "الولي" مكانا لفرقة المدفعية، ويضع عربة المدفع فوق قبره(10) . ومن ثم، لا بدّ أن يسلّم السكان بالأمر الواقع، ما دام الله قد سلط عليهم الفرنسيين؛ استجابة لدعوة وليهم الصالح.

وتروي الباحثة (آن ماري كريستين) حادثة تبيّن أنّ الإنسان الجزائري كائن خرافي؛ يخضع في حياته للأوهام، ويرتبط بعالم أسطوري متخلف، لا يمكنه التغلب على الفرنسي، الذي يتقدّم عليه كبديل حضاري، يتصف بالقوة والعبقرية، ويخضع حياته للعقل والعلم والتجربة. ".. في اليوم الثالث من ديسمبر [1852]، حيث كان على الجنرال "بيليسي" تعيين مكان الهجوم، كانت المعارك قد

حمي وطيسها، وخاصة، عند "قبة" سيدي الحاج عيسى (مبنى صغير يشرف على مرتفع جبل من الجهة الغربية). تم الاستيلاء على هذا الموضع، الذي يشرف على السور مرات عديدة، لأن الجنرال لم يكن يريد الاحتفاظ به، فقد كان يخْليه من جنوده، ثم لا يلبث أن يستوليَ عليه مرة أخرى، كلما عاد إليه العرب. كان يفعل ذلك؛ ليمحق فيهم أي شعور بالنصر"(11)، وكأنّه كان يعلم أن العرب يعتقدون في خوارق الأولياء، وربما كانوا لا يتصوّرون أن تحتل فرنسا هذا المكان المقدس؛ كون هذا الولي المقبور، سيدافع عنه بقدرته الخارقة، التي لا تقهر حسبهم.

إنّ هذه الحادثة لتدل - بوضوح - على تباين العقليتين: الغربية والشرقية، وتؤكد أنّ الجنرال (بيليسي) لا يؤمن بالقوة الخارقة للولي، وهو من جهة أخرى، يعمل على هزيمة عدوه نفسيا.

يسجل فرومنتان - إذاً - تفاصيل هذه المعركة التي خاضها السكان تحت قيادة الشريف "محمد بن عبد الله"(12)، ويسرد وقائعها المروعة، ويتحدث عن آثارها المادية والنفسية، بعد ستة أشهر من وقوعها. ولا ننسى أن أغلب ما ذكره، كان مصدره روايات لعسكريين فرنسيين عاشوا هذه الأحداث، وصنعوها بأنفسهم، ورووها على مسمع الرحالة.

إنّ أول ما يطالعنا في مدينة (الأغواط): شوارعها، ومنازلها، وبساتينها، التي تحوّلت إلى مكان للرعب، وآخر للموت. لقد كانت الحرب عنيفة، والمقاومة شرسة،

والخسائر البشرية في صفوف السكان كبيرة، قدرت بألفي قتيل(13) . والكثير منهم هرب، من بينهم: القائد الشريف "محمد بن عبد الله"، الذي تسلّل في جنح الليل، خارج أسوار المدينة(14). أما الذين بقوا، فقد تعرضوا للتعذيب والتقتيل الجماعي، وحجز الأملاك والأموال(15) .

وينقل الكاتب عن هذه المدينة، التي أصبحت تستنشق الموت، وتتغطى بثياب الحداد، مشاهد كثيرة: موتى أغرقوا الشوارع في الدماء، وحالوا دون مرور الناس، ومنازل سوداء متصدعة الجدران، مثقوبة السقوف، من جراء قصف المدافع، وأبواب مخلّعة، مكسّرة، مخرّقة بالرصاص، ومدينة تنتشر بها الروائح الكريهة؛ بسبب انتثار الجثث على الأرض، وتكدّسها في الآبار. وقد هجرها النساء والأطفال، ولم يبق فيها أحد، حتى الكلاب والطيور، تغرّبت وبقيت الواحات تعاني عزلة رهيبة، وصمتا مخيفا، لأيام وأسابيع(16) .

ولم يكن الجيش الفرنسي يميز، في هجومه على المدينة، بين الرجال المقاومين والنساء الماكثات في بيوتهن، حيث يروي الكاتب تفاصيل المشهد الدرامي للجريمة التي ارتكبها في حق فتاتين؛ قتلتا في منزلهما بطريقة وحشية، ومثّل بهما، وسلبت منهما حليّهما(17) . ولعل هذا ما اعترف به المؤرخ (شارل أوندري جوليان)، حينما قال: "إنّ مجازر (الأغواط)، تعتبر من أبشع ما ارتكب الجيش الفرنسي"(18).

ويعتبر (فرومنتان)، بعد هذه المعركة، أنّ الأغواط أصبحت ملكا للدولة الفرنسية؛ لأنها دفعت، مقابل ذلك، ضحايا كثيرين من جنودها. ".. هذه الأرض هي ملك لنا، لقد دفعنا ثمنها غاليا"(19)، ولذا، فهو، عندما ينقل رواياته عن هذه الحرب، ويصف بعض آثار مشاهدها، يقدم، من خلالها، صورة لفرنسا المفتخرة بانتصارها، المعجبة بنفسها، المستعرضة لقوتها وتفوقها أمام شعب مهزوم، تنظر إليه من أعلى، نظرة غالب إلى مغلوب.

يروي الملازم "ن..." للكاتب، قصة الزنجي المقاوم، بعبارات يبدي فيها كثيرا من مشاعر النشوة والتهكم والسخرية "(...) وجدنا تحت الردم زنجيا ضخما، نصف عار، حاسر الرأس، ممددا فوق حصانه، ولا يزال يمسك بيده بندقية مكسورة، استعملها كهراوة، وكان مخرقا تماما بالرصاص (...) شاهدناه، فوق الأبرشية، واحدا من البقية الأخيرة للمقاومين، يتراجع ويتقهقر، خطوة بعد خطوة، دون أن يستسلم. الرجل المسكين، كما لو أن له زوجة وأبناء يتبعونه؛ ليحثوه بأن يصمد ويثبت، ولكنه، في النهاية، لم يستطع المقاومة"(20).

ومن جملة ما رواه الكاتب، مشهدا لأشلاء الموتى المرمية على الطريق، كان يتسلى بها. " (...) يد مبتورة من إحدى الجثث، جافة ويابسة، وسوداء، مثل جلد عنزة، ليست مشدودة من الذراع إلا بخرقة ممزقة. كانت اليد نصف مفتوحة ومقلصة (...)، حملتها وعلقتها في قربوس سرجي (...)، اليد تترنح بجانب يدي. إنها

صغيرة مستطيلة (أو عليها سيماء الخيبة)، ضيقة بأظافر بيضاء مستطيلة، كانت رشيقة، وربما كانت فتيّة. وهناك شيء لا يزال حيا في الحركة المخيفة للأصابع المنكمشة، وفي النهاية، تملكني الخوف، وضعتها، وأنا مار، في المقبرة العربية، التي تمتد تحت ضريح الولي التاريخي "سي الحاج عيسى"(21).

إنّ هذا الوصف، ليبرز مشاعر الفرنسي نحو الجزائري، وهي مشاعر تفضي إلى احتقار الآخر الشرقي، ونفيه، وتهميشه، وتفسير ذلك - فيما يبدو - هو حالة الرهاب، التي عبر عنها الملازم "نـ.."، حينما قال للكاتب: "(...) بعد هذا، عندنا [في فرنسا] نتأثر، وننتقم بسرعة أو ننسى أحقادنا. الفرق - هنا - أنّنا لا نعرف - أبدا - المدة التي يدومها حقد عنيف؛ لترى ماذا يفعلون. نقول: إنّهم عاجزون عن التذكر، وأقسم بأنّه سيأتي اليوم الذي ينتقمون فيه، ويصفّون حسابهم معنا. تكون لهم أكبر متعة ومسرة، عندما يملؤون بطني بالحجارة أو يعلقونني حيا؛ ليصنعوا بجلدي طبلا "(22).

فالرواية تعني - من وجه آخر - أنّ الفرنسي، في دخيلة نفسه، كان يدرك أن وجوده في الجزائر؛ إنما هو وجود مؤقت، وأنّه سيأتي يوم يرحل فيه عن البلاد.

وفي سياق دراستنا لصورة الحرب، فإنّ الكاتب قد يتناول موضوعا آخر، يؤرخ فيه لأحداث وقعت قبل مجيء الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة، فيتحدث عن شخصية (الأمير عبد القادر)، وشخصية (محمد الصغير التيجاني) المدعو: "محمد

الحبيب"؛ سلطان (عين ماضي)، وزعيمها الروحي، والعلاقات الصدامية التي كانت تسود بينهما.

ولعله يريد، من نقله لهذه الصورة، أن يشير إلى ظاهرة الصراع، وحرب الزعامات، التي فرّقت القبائل، ولم تمكّنها من الالتفاف حول زعيم واحد، وهي الظاهرة التي استغلها الاستعمار، وجعلها إحدى أوراقه الرابحة. ومن هذا المنظور، يقدم (فرومنتان) للأمير عبد القادر صورة سلبية قاتمة، حيث يظهره قاطع طريق، ظالما، غدارا، ناكثا للعهود، ينهب ويخرب بطريقة همجية.

لقد اقتيدت إلى دائرته، بسنوات قليلة، قبل استسلامه، امرأتان من أصل أسباني، فزوج الكبيرة لـ (سي الشريف)، وكان - وقتئذ - خليفته، قبل أن ينضم إلى فرنسا، وزوج الصغيرة لابن عم (سي الشريف)(23).

وفي عام 1838، ضرب الأمير عبد القادر (عين ماضي) بالمدافع، لمدة تسعة أشهر، وتوالت غاراته المفاجئة على المدينة، بالاشتراك مع حلفائه من قبائل (الأرباع)(24) ، الذين أوقعوا بقبيلة (ابن سالم)، الموالية لـ (التيجاني)، وارتكبوا في حقّها مجزرة بشعة، وهرب من بقي منها حيا إلى (بني ميزاب)(25) .

لقد حاصر الأمير عبد القادر - إذاً - عين ماضي لمدة تسعة أشهر، وضربها بالمدافع، وقطع عنها مياهها، ولما طال الحصار، ولم يتمكّن من اقتحام المدينة، ادعى مسالمة خصمه (التيجاني)، وأبرم معه معاهدة؛ أقسم فيها أنّه سيدخل عين

ماضي؛ ليؤدي صلاته في مسجدها، ثم يغادرها. فانسحب (التيجاني)، بموجب ذلك إلى مدينة الأغواط(26) ، مع نسائه، وأتباعه، ولكن "الأمير" دخل المدينة، فهدم الجدران، ونهب المنازل، ثم انسحب على الفور(27) .

ولا يفوت (فرومنتان) أن يذكر بما خلفه الهجوم من آثار شاهدة على عنفه(28): ".. نسيت أن أقول لك، بأنّه، خلال تجوالي في هذا الصباح، [بمدينة عين ماضي]، وجدت شظية قذيفة ساقطة قرب جدران البساتين، منذ حصار عام 1838"(29).

أما (التيجاني)، فيقدمه الكاتب بوصفه: شخصية دينية تتمتع بأخلاق ممتازة، كالورع والتقوى، والشجاعة والبطولة، والإخلاص الوفاء، وحب السلم وكراهية الظلم، مما جعلها تكتسب شهرة كبيرة، وصيتا واسعا، خلدها في ذاكرة العرب(30).

ونجده، في مكان آخر، يظهر للتيجاني الاحترام، ويبدي نحوه مشاعر التقدير. "(...)كلّ هذا ناسب ووافق، بشكل رائع ومثير للإعجاب، المشاعر الخاصة الممزوجة بالفضولية والاحترام؛ اللذين أوحت بهما عين ماضي (...)، ودخلنا المدينة بكل تواضع، محروسين بفارس واحد"(31).

قد يمكن لنا إرجاع هذا الموقف الإيجابي من التيجاني، إلى أسباب عديدة أهمها:

- محاربة التيجاني للأمير عبد القادر، وصموده في وجهه، وقد طبق الكاتب المثل القائل: "عدو العدو صديق". يقول الرحالة، لمّا يتحدّث عن (عين ماضي): "لم يكن لبعد هذه البلدة، أو لجدتها، دافع يجذبني إلى هذا المكان، أو تفضيل لها على أماكن أخرى، كانت أهلا لتحرك مشاعري (...)، إنّما شخصية دينية مكافحة، وقفت وراء أسوراها تدفع عنها أول رجل حرب [الأمير عبد القادر] لإفريقيا المعاصرة"(32).

- مسالمته لفرنسا، حيث لم يشهر السلاح في وجهها، ولم يدخل في تحالفات ضدها(33) ، فقد كانت (عين ماضي) مدينة تختفي فيها مظاهر الحرب(34) .

- لا شكّ أنّ الكاتب اكتشف في (التيجاني) شخصية تشبهه، وتلتقي معه في جملة من الخصائص، أهمها: الانجذاب الروحي، وشفافية المشاعر، والميل إلى حياة الهدوء والعزلة. "(...) لقد تطلّب منه ذلك خمس عشرة سنة من السلم؛ لكي يعيد بناء مدينته [عين ماضي]. بعد هذه الفترة القصيرة المجيدة من الحماس الحربي، استعاد بهدوء حياته الترهبية المنعزلة، ولم يشأ أن يسخرها إلا في أعمال الخير، غير مهتّم بشؤون أحد. لكن لا يجب أن يُتدخل في شؤونه، طالبا أن يتركوه حرا في الإدارة الداخلية لحياته - أردت أن أقول: "أسقفيته". "أنا لست من هذا العالم"؛ كتب هذا، بسنوات، قبل أن يرحل عنه"(35).

الهوامش:

[1]- هما أسرتان كبيرتان ينتمي إليهما أغلب سكان مدينة الأغواط

[2]- " Un Eté dans le Sahara ". P:147.

[3]- Un Eté dans le Sahara P: 147.

[4]- Ibid. P:148.

وينظر: أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، 1: 285.

[5]- الملازم (ن): اسمه الكامل "Nigueux". ينظر: يحي بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص: 121.

[6]- " Un Eté dans le Sahara ". P:154.

[7]- Ibid P: 133.

[8]- ولد بتلمسان عام 1668، وقدم إلى الأغواط عام 1698، وأقام في قصر "ابن بوطة"، وتوفي عام 1737، وهو ينحدر من عائلة عريقة, فوالده عيسى بن إبراهيم، وأمه السيدة: محبوبة بنت سي الحاج بوحفص، زعيم أولاد سيدي الشيخ. ينظر:

" Le Générale Phillebert ,Le Générale Margarette. Paris 1882. P:106.

[9]- روج الفرنسيون لمثل هذه القصص كثيرا، في حملاتهم، قصد التأثير المعنوي على الجزائريين. ينظر: أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، هامش رقم: 10، ص: 308.

[10]- " Un Eté dans le Sahara ". P:148.

[11]- "Un Eté dans le Sahara " .Présentation de Anne Marie Christine. PP:17.18.

[12]- ينتمي إلى أولاد سيدي أحمد بن يوسف، فرع أهل روسل، قرب (عين تيموشنت). وقد كان في عام 1840، رجلا لا سمعة له، توجه بعائلته إلى مدينة (تلمسان)، واشتغل معلما للقرآن الكريم، في زاوية "سيدي يعقوب"، المنتمية إلى "أولاد سيدي الشيخ". استماله (آغا) روسل، والفرنسيون، للمحاربة معهم ضد الأمير عبد القادر، ومنحوه لقب "سلطان"، وعيّنوه "خليفة"

على سكان المنطقة الغربية. إلا أنّه غيّر موقفه بعد ذلك, وحمل لواء الثورة ضد الفرنسيين لمدة تقرب من نصف قرن. ينظر: يحي بوعزيز: "كفاح الجزائر"، مرجع سابق، صص: 113، 114.

[13]- يذكر يحي بوعزيز المعلومات نفسها. راجع كتابه: كفاح الجزائر، ص: 120.

[14]- " Un Eté dans le Sahara ". P:150.

[15]- Ibid P:156.

[16]- Ibid PP: 133 et 150 Jusqu'a 155.

[17]- Ibid PP: 154,155.

[18]- Charles andré Julien "Histoire de L'Algérie Contemporaine ".Paris .1964 .P:390.

[19]- "Un Eté dans le Sahara ". Présentation de Anne Marie Christine. P: 42.

[20]- " Un Eté dans le Sahara ". P:153.

[21]- Ibid P: 245

[22]- Ibid P: 156.

[23]- " Un Eté dans le Sahara ". P:114.

[24]- هي القبائل التي خيّمت في ضواحي مدينة الأغواط منذ مطلع القرن 18. ينظر:
G.hirtz " Laghouat , Les Mekalif , La Zaouia Tidjania , Essai sur évolution Sociale et politique de la région de Laghouat PP: 11.12.

[25]- " Un Eté dans le Sahara ". P:147

[26]- يذكر أبو القاسم سعد الله أن (التيجاني) انسحب إلى تاجموت، وهذا هو المرجّح؛ لقربها من عين ماضي. ينظر: الحركة الوطنية الجزائرية، 1: 215.

[27]- " Un Eté dans le Sahara ". P: 235.

[28]- ينقل أبو القاسم سعد الله الأخبار نفسها، من مراجع فرنسية دون أن يبذل جهده؛ ليوضح لنا الرؤية، ويكشف عن حقيقة الصراع بين الأمير، ومحمد الصغير التيجاني (محمد الحبيب)،

حتى لا نتبنّى تفسيرات المدرسة الغربية عند معالجتها لتاريخنا. وقد وجدت الأستاذ: تلمساني بن يوسف، يعطي تفسيرات ومبرّرات موضوعية، نجملها في الآتي:

- لم يكن محمد الصغير التيجاني ينظر إلى الأمير كزعيم وطني، بقدر ما كان يرى فيه شيخا للطريقة القادرية؛ يهدف إلى إخضاع الطرق الأخرى.

- غدر أتباع القادرية من أهل غريس بالتيجانيين، أثناء ثورتهم ضد العثمانيين، في معسكر عام 1827.

- اتهام الأمير للتيجانية بمخالفة المذهب المالكي، وتهديدهم باستعمال القوة إن لم يكفوا عن نشر طريقتهم.

- تنصيب الأمير عبد القادر للحاج العربي بن الحاج عيسى "خليفة" على الأغواط، وقد كانت قبيلته في صراع مع القبائل الموالية للتيجانية.

- مكائد الجاسوسين: "روش" الفرنسي، والجندي المجري، المدعو: "حسّان"، اللذين كانا مقربين من الأمير عبد القادر، وقد بذلا جهدهما لنسف أسوار مدينة عين ماضي في أثناء الحصار.

ينظر: أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية: 1: 215- 218، وينظر: مقال الأستاذ تلمساني بن يوسف: الأمير عبد القادر والتيجانية، مجلة "الرؤية"، السنة الأولى، العدد الأول: جانفي/ فيفري 1996، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص: 71- 80. وفي الصفحة الأخيرة من المقال، ينظر: رسالة الاعتذار عن الحرب، التي بعث بها الأمير إلى (محمد الحبيب).

[29]- Un Eté dans le Sahara ". P:236

[30]- Ibid PP:226 et 335.336.

[31]- Ibid PP: 230.231.

[32]- Ibid P: 226

[33]- بل يذكر أبو القاسم سعد الله أن له مراسلات واتصالات مع الفرنسيين، يعرض فيها عليهم التعاون؛ لوقف تقدم الأمير نحو الجنوب. ينظر: الحركة الوطنية الجزائرية، 1: 217- 219.

[34]- " Un Eté dans le Sahara ". P: 237.

[35]- Ibid P: 235.